

الشيخ حسن : الزهراء(ع) بهجة قلب المصطفى (ص)



الشيخ حسن الصفار

ونحن نحیی ذکری وفاة سيدة نساء العالمین الصديقة فاطمة الزهراء ، لا بُدّ أن نتشرف بذكر شيء من سيرتها وفنائها العطرة. الأحاديث التي ترويها مصادر الحديث من مختلف المذاهب عن رسول الله ﷺ في حق ابنته فاطمة الزهراء أحاديث كثيرة، وحينما يقف الإنسان أمامها متأملاً فإنه يستطيع أن يستنتج منها الكثير. ومن هذه الأحاديث نذكر ما يلي:

ورد عن رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، وينصيني ما أنصيتها».[1]

وعنه □: «أحب أهلي إليّ - فاطمة». [2]

وعن علي أن رسول الله □ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجاب: يا أهل الجمع، غصوا بأبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر». [3]

وفي حديث نقله البخاري: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني». [4]

وفي حديث آخر قال لفاطمة: «ألا تَرْضَيْنَ أن تكوني سيِّدةَ نساءِ أهلِ الجنَّةِ». [5]

وفي حديث عنه □: «نزل ملك من السماء فاستأذن أن يسلم عليّ - فيشرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». [6]

وعنه □: «إن □ يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». [7]

وفي حديث عن عمر بن الخطاب أن رسول الله □ قال لفاطمة: «فداك أبي وأمي». [8]

وفي حديث آخر قال: «فداها أبوها». [9]

وورد عن أم المؤمنين عائشة قالت: «ما رأيتُ أحدًا أشبهه - سَمْتًا ودَسًّا ولا وهَدًّا بِمَا برسولِ الله □ في قيامها وعودها من فاطمة - بنتِ رسولِ الله □ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قالت: وكانت إذا دخلت على النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قام إليها فقَبَّلَها وأَجْلَسَها في مَجْلِسِهِ». [10]

وزاد الحاكم في رواية أخرى، «وكانت إذا دخل عليها رسول الله □ قامت إليه مستقبلة وقبلت يده» [11]

هذه الأحاديث الكثيرة يمكننا أن نستنتج منها أمورًا:

مكانة فاطمة:

الأول: اظهار مكانة فاطمة وعظمتها؛ لأن الرسول لا ينطق عن الهوى، كلامه ليس من باب العاطفة، لو لم تكن فاطمة مستحقة لهذا القول منه لما قاله، إذًا نحن نستطيع أن نفهم من هذه الأحاديث شيئًا من

مقام فاطمة الزهراء بمقدار استيعابنا لا كل قدرها ومقامها، ويكفي أنها في المباهلة كانت ممثلة لجميع نساء الأمة بنص الآية الكريمة: ﴿وَنِسَاءَ نَبَا وَنِسَاءَ كُمْ﴾ الرسول ﷺ كانت له تسع زوجات، ولديه عمات وصحابيات جليلات، لكنه خرج بابنته فاطمة لتمثل كل نساء الأمة.

الحق مع فاطمة:

الثاني: تزكية سيرة ومواقف الزهراء ، هذه الأحاديث تدل على أن مواقف الزهراء وكلامها صحيح وحق، فهي تزكية لكل مواقفها وسيرتها، وهذا يعني أننا حينما نقرأ في التاريخ أن أي خلاف بين فاطمة وبين أي أحد آخر لا بُدَّ أن يكون الحق معها، لأن ﷺ يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، وأحب الناس لرسول ﷺ ﷺ فهل يمكن أن يقع الخطأ في مواقفها؟ حينما نقرأ ما حصل بعد وفاة رسول ﷺ ﷺ من مطالبة الزهراء بفدك علينا أن نعلم أن هذه الأحاديث تستدعي تزكية مواقف السيدة الزهراء وأن قولها يمثل الحق.

نموذج للتربية السليمة للفتيات:

الثالث: هذه الأحاديث تشير إلى منهج التربية السليم للبنات، الإسلام جاء في بيئة كان الناس ينظرون فيها للبنات نظرة دونية، فالولد هو المفضل، بينما البنت ينظر لها نظرة دونية، ويوثق القرآن الكريم هذا المشهد الجاهلي بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ 58 يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وجاء رسول ﷺ ليقيود البشرية إلى المنهج الصحيح، ويدشن عهداً جديداً للتعامل مع المرأة، كانوا يعيشون حياة المعارك والحروب، فيعطون الأولوية لكل ما يمثل قوة لهم، وهذا مصدر اهتمامهم بالولد، إضافة إلى المفاهيم والآراء السلبية التي كانت عندهم عن المرأة، حتى جاء الإسلام برسالة جديدة نسف بها النظرة الدونية للبنات، بل نرى روايات تميز موقع المرأة حيث كان رسول ﷺ ﷺ يبارك لمن تكون بكرها بنتاً، وهذا ما نستفيدة من رواية الإمام موسى بن جعفر عن آباءه عن رسول ﷺ ﷺ: «من يُمنِّه المرأة أن يكون بكرها جارية». [12]

ولأن البنت لديها مخزون كبير من العاطفة، تهيئة للدور الذي تقوم به باعتبارها الأم التي تنتج وتربي

الأجيال، لذلك فإنها في مرحلة التربية والتنشئة بحاجة إلى الكثير من الرعاية، ولنا في رسول الله ﷺ في تعامله مع بضعته الزهراء أسوة حسنة، فأحاديثه التي تبيّن جانبًا من عظمة ومكانة الزهراء، تمثل أنموذجًا لتربية الفتيات ومراعاة مشاعرهن. يروي ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محايج وليبدأ بالإناث قبل الذكور» [13]، لأن البنات يحتجن إلى رعاية عاطفية في تنشئتهن أكثر من الصبيان.

ونحن وإن كنا في هذا العصر المتقدم، إلا أن دول العالم الإسلامي كان يجب أن تكون سيّاقة في حسن التعامل مع المرأة، وفي إجلالها وتكريمها، لكن يبدو أن رواسب الجاهلية وتسربات تلك المفاهيم لا تزال تتوارث في مجتمعاتنا، ولذلك تعاني المرأة في مجتمعاتنا إلى الآن من النظرة الدونية، فلا يزال موضوع مشاركة المرأة في الشأن العام ومكانتها في المجتمع فيه الكثير من التهميش والإجحاف، وهذا مخالف لتعاليم الدين.

حينما نقرأ روايات تعامل النبي ﷺ مع ابنته الزهراء، فعلى أن نهتم ببناتنا وحسن التعامل معهن، وعلى المجتمع أن يوفّر أماكن يستطيع من خلالها الاستفادة من طاقات الفتيات وإبراز قدراتهن، حتى يشاركن في بناء المجتمع.

نسأل الله أن يثبتنا على محبة الزهراء وأن يكتب لنا شفاعتها.

[1] كنز العمال ج ١٢، ص ١٠٧.

[2] المستدرک ج ٢، ص ٦.

[3] المستدرک علی الصحیحین، ج3، ص166، حدیث4728.

[4] صحیح البخاری، ج29، ص480، حدیث3787.

[5] علی بن أبی بکر الهیثمی، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج 2، طبعة 1406هـ، (مؤسسة المعارف)، ص 321.

[6] کنز العمال ج 12، ص 110.

[7] المستدرک علی الصحیحین، ج3، ص167، حدیث4730.

[8] المستدرک ج 3، ص 170، حدیث4740.

[9] ابن شهر آشوب، مناقب آل أبی طالب، ج 3، ص 121.

[10] سنن الترمذی، ج4، ص539، حدیث3872.

[11] المستدرک، الحاکم النیسابوری، ج 3، ص 160.

[12] مستدرک الوسائل، ج 14، ص 304.

[13] وسائل الشیعة ج 21، ص 514.